Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والنص المدروس صريح في استعمال هذا الضمير على وجهين: حين يأتي منفصلا يدور حوله الكلام مشكلا بذلك بؤرة للحكي، وحين يأتي متصلا بآخر الفعل لتبيان الحركة والانتقال. ومنذ أول فقرة في السيرة الذاتية يبرز ضمير المتكلم كعلامة على تطابق التلفظ بملفوظه، بتلك الصيغة التي أشرنا إليها مرارا: «هذا، وإني»، ثم يتبع ذلك ب «عبد الله سليمان... إلخ». فيكون الانطلاق بذلك مؤشرا على تدفق المحكي الذاتي وتوالي أطواره بشكل عام.

ويفهم من استعمال الضمير المتكلم أن المؤلف يستوحي تجربته جاعلا منها بؤرة القول، ثم وهو يفصّل القول في منحنياتها يحولها، على مستوى الكتابة، إلى سلسلة من الأفعال والمواقف. وربما كان الأهم أنه باستعماله للضمير المتكلم يعبر عن خوالجه تجاهها ويبوح بعواطفه، متغايرة كانت أم مستقرة، حيالها. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك.

من هنا يمكن القول إن الضمير ليس صيغة نحوية لتعيين الدلالة الناتجة عن التصريح بامتلاك ناصية القول فقط، بل وكينونة شخصية تحيل على المؤلف كذلك. لأن فيه تصريحه بالوجود المفرد المؤسس على تجربة خصوصية لا تسري عليها المقارنة بغيرها. ونضيف إلى ذلك أن الضمير، بهذا المعنى، صار جزءا من النسب الذي ينحدر منه وخلاصته في نفس الآن، بحيث تنطبق عليه جميع مظاهر الاعتبار والقدسية والرفعة الناتجة عن تلازمه مع (البيت النبوي الشريف).

الاسم العلم

لا يمكن الاعتداد بالضمير المتكلم إلا حين يحيل على الاسم العلم. ويرى ف. لوجون أن الموضوع العميق للسيرة الذاتية هو الإسم العلم بالذات [1] . ومعلوم أن العرب عنيت بالعلم ذلك اللفظ الذي يدل على تعيين مسماه تعيينا مطلقا، أي غير مقيد بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة أو إشارة حسية أو معنوية أو زيادة لفظية، وما ذلك إلا لأن مدلوله يطلق في الغالب على شيء مشخص متميز عن غيره.

ويبدو الإسم العلم في السيرة الذاتية صفة للمؤلف، لأنه هوالذي يوقّع الكتاب فيصبح منتسبا إليه ومعطوفا على ما قد يكون ألفه من قبل في نفس الوقت. مع الاعتبار أيضا أن مؤلف السيرة الذاتية لا يمكن أن يكون مجهولا [2]، أو أن التوقيع بالاسم

1 ـ مصدر مذكور، ص 32
2 ـ نفسه، ص 32